الحب في الله

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[الحشر: ٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبــعــد..،

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

ما أحوجنا في هذه الأيام إلى محبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين!

لقد امتلأت القلوب بحب الدنيا ومحبة الشهوات والملذات!

ولكن هل تحققت لنا بذلك السعادة؟

إن السعادة الحقة لا تتحقق إلا بمحبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين!

وقد ندعي أننا نحب الله تعالى ونحب رسوله ﷺ، ولكن الله تعالى يبين لنا في كتابه العزيز، وفي سنة نبيه ﷺ الدلائل والبراهين الحقيقية على صدق هذه المحبة أو كذبها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

ويقول رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله

(١) آل عمران: ٣١.

ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"[١].

فظهر لنا من ذلك أن تحقُّق السعادة الحقة وحلاوة الإيمان موقوف على تحقق محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ومحبة المؤمنين!

وهذا بدوره موقوف على تحقيق طاعة الله ورسوله ﷺ والالتزام بحقوق الأخوة الإيمانية والتوبة النصوح من الذنوب والمعاصي جميعها.

ولا شك أن مما يهون على المرء سلوك سبيل الطاعة، والثبات في طريقة الدين، أن يجد لإيمانه حلاوة، وأن يستشعر لطاعته لذة، فتهون عليه صعاب الطريق، وتخف عليه وطأة السير فيه.

ولقد صرنا في زمان أصبح فيه شعور المرء بحلاوة الإيمان ولذة الطاعة أمرًا عزيزًا ؛ وذلك لأن الحياة المادية قد طغت على القلوب، ورنت عليها بثقلها و قسوتها. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢].

ويقول: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾[٣].

وأصبح القليل من الناس هم الذين يشعرون بهذه الحلاوة، ويجدون تلك اللذة، وهم العقلاء الأتقياء من الناس، وهم أهل السعادة والفلاح والنجاح في الدارين.

أما بقية الخلق فقلوبهم في غمرة من الشهوات والشبهات، قد غمرها الباطل

---

(١) أخرجه البخاري في (الإيمان) باب: حلاوة الإيمان(١١٨) وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم كتاب الإيمان أيضا ، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان(ح ٤٣).

(٢) المطففين:١٤، و﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي : غطى عليها وحجبها ما كانوا يكسبون من المعاصي، فتصير القلوب محجوبة عن الهداية ،وعن وجود حلاوة الإيمان.

(٣) المؤمنون: ٦٣.

فحجبها عن رؤية الحق والخير وغطى عليها ران المعصية فحال بينها وبين لذة الطاعة.

ولما كان هذا الأمر قد عم بلاؤه، وكثر منه الشاكون من عقلاء المؤمنين، وإنه لأمر يدعو للدهشة والاستغراب، فكما أن المرء يعجب ويدهش حينما يأكل من تفاحة جميلة زاهية ناضجة ثم لا يجد لها حلاوة ولا طعمًا جميلاً، كذلك فإنه ينبغي أن يكون أشد عجباً:

حينما يصلي فلا يخشع، ويقرأ القرآن وعينه لا تدمع، ويُذكَّر بآيات الله فلا يتعظ، ويُخوَّف بالزواجر والقوارع فلا ينـزجر.

ويرى ما يلم بأمثاله من العصاة من العقوبة فلا يرعوي(١). وما يتكرر في دهره من المصائب والحوادث فلا يتأثر أو يتعارض عنده أمر الله أو أمر لرسوله ﷺ مع هوى نفسه، فيتبع الهوى، ويعرض عن طاعة ربه.

أو يرى محنة أو بلاء ينزل بإخوانه المؤمنين، فلا يفرح لفرحهم، ولا يحزن لأحزانهم.

أو يرى أنه لا يحب أحداً من إخوانه إلا لمصلحة أو منفعة، وأنه لا يستشعر بينه وبين إخوانه رابطة المحبة والولاء والإخاء في الله تعالى.

أو يرى أنه لا يحب الطاعة ولا ينشرح لها صدره، ولا يكره المعصية ولا تنقبض لها نفسه.

فمن كان كذلك، أو كانت به بعض تلك الصفات فليحذر، فإنه قد فقد حلاوة الإيمان، ومن فقد حلاوة الإيمان يوشك أن يفقد الإيمان كلّه، إذ كيف يصبر على شيء لا يستحليه ولا يستعذبه، ولا يجد له لذة ولا حلاوة؟!

---

(١) يرعوي: أي ينـزجر

فهيا أخي المسلم.. وأختي المسلمة .. نحقق أسباب محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ حتى تتحقق لنا حلاوة الإيمان:

* المحبة وحلاوة الإيمان:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"[1].

نلاحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ يشبه الإيمان بثمرة لها حلاوة ومذاق، كتفاحة مثلاً أو غيرها من الفاكهة، ويخبر النبي ﷺ أن وجود حلاوة هذا الإيمان المشبه بتلك الثمرة لا يتاح لكل واحد يدّعي الإيمان، بل لابد لوجود الشخص حلاوة ذلك الإيمان من صفات أصيلة ترسخ في قلبه، وهذه الصفات لها علاقة جد وثيقة بحقيقة الإيمان ومعناه، فمن حقق تلك الصفات، وجد حلاوة الإيمان ومن لم يحققها لم يجد حلاوته.

وهذه الصفات راجعة إلى تلك الأمور الثلاثة المذكورة في الحديث وهي:

١-أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما.

٢-أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

٣-أن يكره أن يعود في الكفر وما يتعلق به من المعاصي كما يكره أن يلقى في النار.

* من أهم مظاهر غياب الحب في الله:

من خلال الحديث السابق نستطيع أن نلمح أهم مظاهر فقدان حلاوة الإيمان، ومن هذه المظاهر:

---

(١) أخرجه البخاري في (الإيمان) باب: حلاوة الإيمان(١١٨) وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم كتاب الإيمان أيضا ، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان(ح ٤٣).

١ - تقديم محابّ النفوس على محاب الله تعالى:

إذا فقدت القلوب حلاوة الإيمان رأيت علامة ذلك أن يؤثر المرء محاب نفسه وأهواءها وشهواتها على محاب الله تعالى وأوامره وتكاليفه.

فيؤثر الانشغال بالدنيا على الدعوة إلى الله.

وقد يستعجل أمره فيؤثر جمع المال على الصلاة!

ويؤثر التمتع بالحرام على العفة والطهارة!

ويؤثر سماع الغناء على سماع القرآن!

ويؤثر سماع اللغو من الأفلام والمسلسلات والمباريات!

وغير ذلك على سماع الوعظ والعلم النافع!

ويؤثر الإقراض بالربا على إنظار المعسر المحتاج!

ويؤثر الرِّشوة على العفة!

ويؤثر الجشع وأكل الأموال بالباطل على القناعة والرضا بما قسمه الله!

وسبب ذلك كله أن نفسه وهواه أحب إليه من الله ورسوله ﷺ! فمن كان كذلك فليعلم أن جذوة الإيمان قد خمدت في قلبه أو تلاشت، وأنه لا بد له من وقفة مع نفسه يجدد فيها إيمانه ويسارع فيها بالتوبة إلى الله.

٢- غلبة النظرة المادية على القلب، وغياب الحب في الله:

فحينما تغيب عن القلوب حقيقة الإيمان، لا يبقى في القلوب إلا المقاييس الأرضية المادية، فيقاس الخير والنفع بما يحقق للمرء نفعًا ماديًّا عاجلاً.

فلا معنى للأخوة في الله!

ولا معنى للصحبة والصداقة والوفاء!

تزول كل هذه المعاني حينما تغلب المادة على القلوب.

٣-التعلق بالمعصية والحنين إليها :

*أسباب وجود حلاوة الإيمان :

بقي أن نبين بعد ذلك من خلال الحديث كيف يذوق المرء حلاوة الإيمان؟ وهذا ما تصدى له هذا الحديث الجليل: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان".

١-أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢- أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

٣-أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار.

ويمكننا أن نترجم هذه الكلمات النبوية فنقول من خلال هذا البيان النبوي العظيم :

❁ إن الأسباب التي تحصل بها حلاوة الإيمان ثلاثة هي :

١ - تقديم محابِّ الله ورسوله على محابِّ النفوس.

٢- غلبة النظرة الإيمانية على القلب.

٣- التوبة من المعاصي وقطع التعلق بها.

أولاً: تقديم محابّ الله ورسوله على محابّ النفوس:

هذه هي أعظم أسباب زيادة الإيمان واستشعار حلاوته، أن تعظم محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ في القلوب.

واعلم أن المحبة ليست ادعاء، ولكنها عمل من أعظم أعمال القلوب، وأنها إذا ما استقرت في القلب خالطته بشاشة الإيمان فيهفو القلب إلى محاب الرحمن، وتتبعه الجوارح كلها منقادة ذليلة، فتسعى الأقدام إلى الطاعات وتميد الأيدي بالإحسان، ويسبح اللسان والجنان، ويغض الطرف، وتخشع النفس، ويرق القلب،

وتدمع العين.

وذلك أن المحبة أصلها في القلب، فإذا أحب القلب فاطره ومولاه، لانَ ومال إلى طاعته، والجوارح له تبع، وإذا خلا من المحبة نفر من الطاعة، والجوارح له تبع.

فالدليل على صدق محبة المرء لله تعالى ورسوله ﷺ هو اتباعه لأوامر الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ في كل ما أمر به وما نُهِي عنه، وعلى قدر زيادة المحبة ونقصانها يكون زيادة الاتباع ونقصانه.

وقد تأتي الطاعة والاتباع لله ورسوله ﷺ من الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب، ولكن لا يجد المرء حلاوة الإيمان ولا لذة الطاعة والاتباع إلا بأن تكون طاعته واتباعه لله ورسوله ﷺ عن محبة خالصة.

ومثال ذلك: الطالب الذي يذاكر وهو خائف شديد الخوف من الرسوب والفشل فإنه ينجح ويرتقي، ولكنه لا يجد للمذاكرة لذة في حينها، إذ كيف يجد اللذة خائف وجل متألم متضرر؟!

وكذلك من يعبد الله ويطيعه رجاء الرزق والفضل والسعة في الدنيا أو الآخرة فإنه لا يجد كمال اللذة للطاعة ولا العبادة؛ لأنه إنما يفعلها اضطرارًا فهو يرى أنه مضطر للعبادة لتحصيل الرزق والفضل، كما أن الخائف يرى أنه مضطر للعبادة للنجاة من العذاب.

أما المحب لله تعالى وشرعه فهو يعبد الله تعالى محبة لذاته وصفاته وفعاله وشرعه لا لمجرد الخوف ولا لمجرد الطمع، وإن كان الخوف والطمع مطلوبين كذلك غير مذمومين، فقد ذَكَرَ الله تعالى أنبياءه- عليهم السلام- وذكر أنهم يدعونه طمعًا وخوفًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(١).

---

(١) الأنبياء: ٩٠.

والرغب هو: الرغبة والطمع في ثواب الله تعالى، والرهب هو: الخوف والرهبة من عقابه، وهذا إنما يحسن من العبد في حالة الدعاء والتضرع فينبغي له أن يظهر تذلـله ورغبته فيما عند الله تعالى، ويُلح في الدعاء والمسألة فإنه من تمام عبوديته لله تعالى وبه تكتمل لذة الطاعة.

فالمرء إنما يتلذذ بالتزلف والتقرب بمن يثق في إجابته وعطائه، كما يطمئن بالتضرع والتذلل لذي السلطان والجبروت إذا علم أن ذلك يؤمنه من بطشه وعقابه.

أما السعادة العظمى، واللذة الكبرى، والحلاوة التي ليس بعدها لذة ولا حلاوة، فهي لذة المحبة وحلاوتها، حينما تمتلك محبة الله تعالى على المرء قلبه وجوارحه فلا يرى إلا صورة الكريم الرحيم الحليم المنان واسع الفضل ذي الطول والإحسان، العفو الرءوف الغفور الشكور، الغفار الوهاب الرزاق الفتاح الودود المجيد، فيرى واسع رحمته وفضله ومنِّه وجوده وكرمه فيمتلئ قلبه محبة وشكرًا، فتتحرك الجوارح كلها بشكره سبحانه تبعًا لمحبة القلب وشكره.

وكذلك فإن صفات الشدّة والبطش والجبروت والعظمة لا تمنع من كمال المحبة بل تزيدها، فإن المرء لا يحب العاجز ولا الضعيف، وإذا كان إلهه الذي يعبده ويطيعه قادرًا قويًّا شديد البطش شديد العقاب، فإنه تكمل محبته له وثقته به، لأنه يعلم يقينًا أنه ناصره، ومنتقم له من عدوه، وأن من أحبه وتولاه فإن حزب الله هم الغالبون.

❁ كيف تزيد محبة المرء لله تعالى ولرسوله ﷺ؟

والسبيل لزيادة محبة المرء لله تعالى ولرسوله ﷺ هو بأن يتفكر العبد في صفات الله تعالى وما يعود عليه منها من الخير العظيم والنفع العميم فكل صفة تتفرع عنها نعم ومنن لا تعد ولا تحصى.

فليتفكر العبد في صفات: الرزاق والوهاب والفتاح والمعطي، وما يعود عليه

منها من النعم والخير والعطاء.

ويتفكر في صفات: الغفور الرحمن الرحيم العفو الرءوف الكريم الحليم الودود، وما يعود عليه منها من العفو والرحمة والكرم والجود والإنعام، ويتفكر كذلك في صفات: السميع العليم اللطيف الخبير الشهيد الحفيظ، وما يعود عليه منها من علمه بحاله وتدبيره لأمره وإصلاح شأنه دون جهد منه ولا سبب.

ويتفكر كذلك في صفات: العظيم المنتقم شديد العقاب القهار الجبار القوي المتين..إلخ، يتأمل ما فيها من نصرته إياه، وقهره لأعدائه، ونصره لأوليائه..إلخ .

فإنك إذا أحسنت إلى أحد الناس ثم أساء إليك يوشك ألا تحسن إلى أحد أبدًا لأنك إنما تنتظر الجزاء من الناس والناس لا يردون الإحسان بمثله، وإنما إذا كان إحسانك ابتغاء الأجر من الله تعالى فإنك تجد لذلك لذة وحلاوة في القلب، وطمأنينة في النفس وثقة بالأجر والنصر من الله تعالى، أنصفك الناس أو ظلموك، أعطوك أو منعوك.

ثانيًا: غلبة النظرة الإيمانية على القلب:

هذا هو السبب الثاني لحلاوة الإيمان وهو عكس ما ذكرناه من قبل من موانع وجود حلاوة الإيمان.

ثالثًا: كراهية المعاصي وعدم التعلق بها:

وذلك كما قال النبي ﷺ في هذا الحديث: "وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

فالكراهية والبغض لشريعة الكفر وتقاليده وشُعَبه وهي المعاصي؛ لأن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر، فإذا كره المرء الكفر والفسوق والعصيان فقد اطمأن قلبه بالإيمان، فلا يكون مذبذبًا مائلاً إلى الفسوق والفجور راغبًا فيه متضررًا من منع الله تعالى إياه منه وتحريمه عليه، فتطمئن نفسه وتستقر وتهدأ وتنعم بطاعة

الله تعالى وتعلم أن الخير كله فيها.

وذلك؛ لأن التعلق بالمعاصي والرغبة فيها إنما يكدر القلب، ويعكر عليه لذة الإيمان وحلاوته؛ وذلك لأن القلب يظن أن نفعه وخيره في إصابة تلك المحرمات فلا يزال متعلقًا بها أسيرًا لهواه عبدًا لشهواته وأهوائه، قلقًا حائرًا بين إرضاء ربه وإرضاء شهواته.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(١).

فالعبد الحائر المتردد بين طاعة الله واتباع شهواته هو كذلك العبد الذي يتنازعه عدة شركاء متشاكسين لا يدري من يطيع منهم!!

أما الذي يطيع الله تعالى وحده فهو كالعبد الذي يملكه سيد واحد فيأتيه أمر واحد ونهي واحد فيتبعه بلا قلق ولا تردد.

فالمؤمن الحق الذي يجد حلاوة الإيمان هو الذي حبب الله تعالى إليه الإيمان والطاعة، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وقد وصف الله تعالى أولئك بأنهم هم الراشدون فقال سبحانه في صفة المؤمنين المتبعين للرسول ﷺ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾(٢).

❀❀❀

(١) الزمر: ٢٩.
(٢) الحجرات: ٧.